اسم الدرس : تفسير سورة عبس

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بإذن الله عز وجل سنستكمل معًا دورة بصائر قرآنية –الجزء الثاني– في شرح جزء عم.

نكرر دائمًا أن **الغرض الأساسي من دورة بصائر القرآنية –الجزء الأول–** كان: تحويل أهمية القرآن وتدبر القرآن من مجرد معلومة عندنا إلى عقيدة تستقر في القلب. فالعقيدة ينافح عنها الإنسان، ويجاهد من أجلها، ويبحث عنها حتى تستقر في قلب الإنسان.

وقلنا أن **الجزء الثاني** هو بداية الارتباط التفصيلي.

فكان الجزء الأول ارتباط مجمل: أن القرآن مهم، والقرآن يجب أن نتدبره، القرآن نور، القرآن هدى، وبصائر، وبينات، ثم بعد هذا نريد لهذه الأشياء أن تدخل في حياتنا، لذلك يجب أن يحدث ارتباط مفصّل بكتاب الله عز وجل.

وقلنا أننا سنبدأ بما بدأ به نزول القرآن وهو غالب سور جزء عم، وهي سور مفصّلة، طَرقات سريعة على قلب الإنسان الغافل، غالب سور جزء عم من أوائل ما نزل من القرآن. وإن كان هناك خلاف في بعض سور جزء عم أنها مدنية، وهناك بالفعل بعض السور مدنية. لكننا سنبدأ مع جزء عم بإذن الله عز وجل. تكلمنا بفضل الله عن سورة النبأ وسورة النازعات

وسنبدأ اليوم بإذن الله سورة عبس.

هذه السورة العظيمة: سورة (عبس وتولى). وهناك خلاف في تسميتها، فبعض العلماء يأخذ أول آية وتسمى باسمها (سورة عبس وتولى)، أو أول كلمة وتسمى بها (سورة عبس). فهذه السورة حقيقةً هي **سورة عظيمة جدًا**.

والإنسان يتحرَّج ويجد في صدره حرج أن يشرح هذه السورة، خاصةً أنها عتاب من الله عز وجل –في بدايتها– للنبي صلى الله عليه وسلم، ويخشى الإنسان ألا يوفي النبي صلى الله عليه وسلم حقه. وقد

وجدتُ أن هذا المعنى قد أشار إليه بعض المفسرين؛ أنه كان متهيبًا وتردد كثيرًا قبل أن يكتب في هذه السورة، حفظًا لمقام النبي صلى الله عليه وسلم، لأننا بجهلنا وزلات ألسنتنا لا نستطيع أن نوفي النبي صلى الله عليه وسلم حقه.

في البداية يجب أن نفهم قول ربنا سبحانه وتعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ} [آل عمران: ١٤٤] فالله سبحانه وتعالى أراد أن يرتبط الناس بالدعوة. وقد ربى الله سبحانه وتعالى الصحابة على أن النبي صلى الله عليه وسلم سيموت {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} [الزمر: ٣٠]، لذلك **أراد الله سبحانه وتعالى أن يرتبط الصحابة بكتاب الله عز وجل إلى يوم القيامة. والله حفظ سنة النبي صلى الله عليه وسلم، لكن الله لم يرد أن يكون الارتباط الدائم بشخص النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما بسنة النبي صلى الله عليه وسلم.**

وقلنا أن –الله عز وجل– لحفظ هذا الدين: إما يحفظ النبي صلى الله عليه وسلم من الموت، أو يحفظ القرآن من التغيير. فالله عز وجل بحكمته وبعلمه اختار أن القرآن هو الذي يُحفظ من التبديل، وليس شخص النبي صلى الله عليه وسلم يُحفظ من الموت، أما سنة النبي صلى الله عليه وسلم هي التي قيد الله لها رجالًا يحفظونها.

هذه كانت **مقدمة هامة**، فلو صدرت أي كلمة لا توفي حق النبي صلى الله عليه وسلم فهي غير مقصودة. ونحن مهما تكلمنا عن فضل النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الأمة، ومقدار المجهود الذي بذله صلى الله عليه وسلم، لن نوفي النبي صلى الله عليه وسلم حقه، ولن يوفيه حقه إلا ربنا سبحانه وتعالى. ولذلك نحن عندما نقدم جزء من الشكر نطلب من الله سبحانه أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأننا لا نستطيع أن نؤدي هذا الشكر، نحن دورنا أن نقول: يا رب، صلِ على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأننا مهما فعلنا لن نستطيع أن نرد فضل النبي صلى الله عليه وسلم علينا.

بداية السورة

بدأت السورة بعتاب من الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم في موقف معروف.

ابن أم مكتوم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وجلس يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم في وقت كان الكبراء والعظماء والأغنياء من قريش جالسين عند النبي.

كان النبي صلى الله عليه وسلم في هذه اللحظة يريد أن يُسلِم هؤلاء، والداعية يتمنى دائمًا أن يؤمن أمثال هؤلاء؛ لأن هناك أناس كثيرين متأثرون بهم...

فحرص النبي صلى الله عليه وسلم هنا ليس على أموالهم ولا على ما معهم من مال أبدًا، ولكن هؤلاء العظماء قد يُسخِّرون هذه الأموال لنصرة دين الله عز وجل، ونحن نمر بفترة استضعاف، وفي فترة الاستضعاف يبحث الإنسان عن أي مخرج، ويظل يفكر: يمكن أن يُسلِم فلان، يمكن لفلان أن يَنصر الدين، يمكن لفلان أن يسخر الأدوات التي معه، فأنت في فترة الاستضعاف تبحث عن أي مخرج...

في وسط الاستضعاف المكي يأتِ ابن أم مكتوم ويطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مرة وهو أعمى أن يلتفت إليه أو يترك هؤلاء العظماء، والنبي صلى الله عليه وسلم مرتبط بهؤلاء، فعبس النبي صلى الله عليه وسلم. ومع أن ابن أم مكتوم كان أعمى، ولم يرَ -رضي الله عنه- هذا العبوس؛ نزل العتاب. فمجرد العبوس والتولي عنه والإعراض عنه والاهتمام بعظماء قريش وتمني أن يسلم هؤلاء العظماء نزل بسببه العتاب.

فلماذا العتاب؟

يقول ربنا سبحانه وتعالى في أول السورة: {عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى} [عبس: ١-٢].

بدأت السورة بملمح قسمات لوجه النبي صلى الله عليه وسلم، والنبي صلى الله عليه وسلم هو الداعية الأول الذي من المفترض أن يسير على نهجه الدعاة، فعندما يعاتب الله عز وجل النبي صلى الله عليه وسلم فيجب على الداعية أن يضع هذا العتاب في حسبانه، وأنه من الممكن أن يقع هو في هذا الأمر.

فبدأت السورة بقسمات الوجه، وهذا يدل أن قسمات وجه الداعية وتعبيرات وجهه يجب عليه أن يراعيها، فأثناء سيرك في الطرقات بين الناس؛ مجرد أن تنسَ إلقاء السلام على الناس يمكن أن يجعل الناس تحزن منك.

أنا أذكر في إحدى المعتكفات في رمضان، في وسط الاعتكاف -في اليوم الخامس أو السادس- وجدت أحد الدعاة من المعتكفين معي أتى لي بأخٍ، ويقول لي: لدي لك عتاب صغير. فقلت له: ماذا هنالك؟ فوجدت الأخ الذي معه يبكي.. فقلت للأخ الصغير: لماذا تبكي؟ فقال لي الداعية: هو حزين بسببك، لأنك آذيته! فقلت له باستغراب: أنا؟ قال لي: لقد جاء أكثر من مرة يكلمك، لكنك كنت مشغولًا بترتيب الاعتكافات وكنت متجهمًا فاعتقدَ أنك لا تأبه به ولا تعيره اهتمامًا؛ فبكى!

إذًا قسمات وجه الداعية وتعبيرات وجهه فقط قد تؤثر في المدعو وأنت لا تشعر.

فمحافظتك على الابتسامة وعلى السكينة والطمأنينة تبث مشاعر للمدعوين، ولذلك على الداعية أن يظل مراعيًا لتعبيرات الوجه، وإلقاء السلام.

كان هناك أيضًا داعية في منطقة ما، وكان الناس مستاءين منه، لماذا؟ لأنه كان ينسى أن يسلم عليهم في الذهاب والإياب.. هذه أشياء بسيطة جدًا، لكن الداعية في كلماته وفي نظراته وفي قسمات وجهه وفي حركاته لا بد أن يكون على حذر.. فمجرد أن يلقَ الناس بوجه طلق وبوجه متبسم هو أمر مهم جدًا.

فأن تكون بداية السورة بعتاب عن قسمات وجه النبي صلى الله عليه وسلم، التي لم يرها ابن أم مكتوم رضي الله عنه الصحابي الجليل لكونه أعمى هذا الأمر فيه عتاب وتنبيه..

فإذًا مجرد تغيير الوجه عند الداعية يمكن أن يُسأل عنه... لماذا فعلت هذا؟ عندما قابلت فلانًا، لماذا لم تَهُشَّ له وتَبُشَّ؟ فالنبي صلى الله عليه وسلم في البخاري لما كان يأتيه الأقوام، يقول: «مَرْحَبًا بِالقَوْمِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى»[1]. يقوم النبي صلى الله عليه وسلم ويبشرهم: {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} [الأنعام: ٥٤]، يبشرهم ويهون عليهم الأمور.

[1] كُنْتُ أَقْعُدُ مع ابْنِ عبَّاسٍ يُجْلِسُنِي علَى سَرِيرِهِ فقالَ: أقِمْ عِندِي حتَّى أجْعَلَ لكَ سَهْمًا مِن مالِي فأقَمْتُ معهُ شَهْرَيْنِ، ثُمَّ قالَ: إنَّ وفْدَ عبدِ القَيْسِ لَمَّا أتَوُا النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: مَنِ القَوْمُ؟ - أوْ مَنِ الوَفْدُ؟ - قالوا: رَبِيعَةُ. قالَ: مَرْحَبًا بالقَوْمِ، أوْ بالوَفْدِ، غيرَ خَزايا ولا

إذن البداية كانت عتاب في قسمات وجه النبي صلى الله عليه وسلم.. يقول الله تعالى: {عَبَسَ وَتَوَلَّى} [عبس: ١].

{تَوَلَّى}: لا تدل فقط على الإعراض، فليس الأمر أنه تركه والتفت لعظماء قريش فقط.. كلا، لقد تولى؛ أي: ذهب إلى ما هو أولى..

وهذه نقطة مهمة جدًا: ترتيب أولويات الداعية ليس كما يرى الداعية، وليس بمتغيرات الواقع؛ **هناك معطيات شرعية وهناك معايير وضعها الله سبحانه وتعالى يجب أن يسير عليها.**

فيقول ربنا {عَبَسَ وَتَوَلَّى} أي: اتجه إلى ما هو أولى في حسبانه، فعندما أتولى عن شيء: أترك هذا الشيء ليس فقط زهدًا فيه، وإنما أتركه لأنني أرى أن هناك شيئًا آخر أولى منه.

فالنبي صلى الله عليه وسلم في هذه اللحظة رأى أن الأولى أن يتجه إلى دعوة عظماء قريش، وأن يترك الصحابي المقبل... فهنا ربنا سبحانه وتعالى وضع له موازنة: ماذا فعل هؤلاء، وماذا فعل هو؟ ما صفاته -أي الصحابي ابن أم مكتوم-، وما صفاتهم -أي عظماء قريش-؟

وبذلك يستطيع الإنسان أن يرتب الأولويات لو أن هناك مجهودًا يبذله هنا ومجهودًا يبذله هناك، وهذا لا يكون على هوى الداعية... فمثلًا هناك مدعو يطلب مني شيئًا وهناك مدعو آخر يطلب شيئًا آخر، وهنا يحدث تعارض، وعند التعارض يجب أن تقدم الأولى، فتقدم فلانًا أو علانًا ليس على أساس المصالح الشخصية ولا الحزبية ولا الفئوية ولا المادية ولا الاجتماعية.. فليس معنى أن فلانًا أرقى اجتماعيًا أو فلان أغنى أو فلان أقرب لي أو فلان يسمع كلامي أو فلان ينتمي لجماعتي، أو هذا من قبيلتي أو

نَدامَى، فقالوا: يا رَسولَ اللَّهِ إنَّا لا نَسْتَطِيعُ أنْ نَأْتِيكَ إلَّا في الشَّهْرِ الحَرامِ، وبيْنَنا وبيْنَكَ هذا الحَيُّ مِن كُفَّارِ مُضَرَ، فَمُرْنا بأَمْرٍ فَصْلٍ، نُخْبِرْ به مَن وراءَنا، ونَدْخُلْ به الجَنَّةَ، وسَأَلُوهُ عَنِ الأشْرِبَةِ: فأمَرَهُمْ بأَرْبَعٍ، ونَهاهُمْ عن أرْبَعٍ، أمَرَهُمْ: بالإيمانِ باللَّهِ وحْدَهُ، قالَ: أتَدْرُونَ ما= الإيمانُ =باللَّهِ وحْدَهُ قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: شَهادَةُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، وإقامُ الصَّلاةِ، وإيتاءُ الزَّكاةِ، وصِيامُ رَمَضانَ، وأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ ونَهاهُمْ عن أرْبَعٍ: عَنِ الحَنْتَمِ والدُّبَّاءِ والنَّقِيرِ والمُزَفَّتِ، ورُبَّما قالَ: المُقَيَّرِ وقالَ: احْفَظُوهُنَّ وأَخْبِرُوا بهِنَّ مَن وراءَكُمْ.
الراوي : عبدالله بن عباس | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: ٥٣ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

هذا من أسرتي أو هذا سيفيدني بعد ذلك: أني سأقدمه على غيره. هذه ليست المعايير التي نقيِّم على أساسها، هذه ليست المعايير التي تجعل الإنسان يختار ما هي الأولوية.. **هناك معايير ثابتة وضعها ربنا سبحانه وتعالى وهي مبثوثة في القرآن والسنة.**

{عَبَسَ وَتَوَلَّى}

وهنا يأتِ سؤال: هل العتاب نزل فقط لأن رجلًا صحابيًا كان أعمى وحزن من الموقف فأنزل الله سبحانه العتاب؟ الداعية يمكن أن يخطئ أخطاء كثيرة رغمًا عنه؛ لأنه بشَر يتحرك بين الناس، فربما يخطئ دون قصد، فهذا العتاب وهذه السورة التي سُميت باسم الموقف –تغير في قسمات الوجه: سورة عبس– بالرغم أن لها أغراض أخرى وقضايا دعوية أخرى وخاتمة أخرى، هل نزول هذه السورة العظيمة، وتسمية السورة باسم الموقف، وأن الله سبحانه وتعالى ينزلها في القرآن ويحفظها إلى يوم القيامة، كل هذا من أجل شخص حزن؟ لا.. أبدًا! **فالأمر أخطر من ذلك.**

ضبط المعايير عند الداعية

النبي صلى الله عليه وسلم عصمه الله سبحانه وتعالى في تبليغ الرسالة، وقال الله عز وجل: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ} [الحج: ٥٢]، فأمنيات الأنبياء هي أن يستجيب الناس كلهم إلى دعوتهم.. هذه الأمنية –أن يُسلم الناس– يمكن أن يستغلها الشيطان.

فمثلًا: الداعية يريد أن يسلم الناس، فيأتِ له الشيطان ويستغل هذا الحرص على إسلام الناس، ويقول له: لا داعٍ لهذا الكلام لأن فيه تشدد، يمكنك أن تركن للظالمين، يمكن أن تؤخر هذا البيان، يمكن أن تغير في الدعوة... فمن الممكن أن يستغل الشيطان هذه الأمنية، لكن بالنسبة للأنبياء؛ قال الله: {فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ}، فالله يحفظ الأنبياء من ذلك، من أن يغيروا أو يبدلوا.

لكن بالنسبة للدعاة: فهم لم يأخذوا الوعد بهذا، لذلك لا بد أن يكونوا على حذر من ذلك.

فهذه السورة قد تكون بالنسبة للدعاة غير النبي صلى الله عليه وسلم.. **بالنسبة للدعاة هذا قد يكون بداية الانحراف عن مسار الدعوة**= أن تُراضي البشر وتضع معايير أرضية لتقييم المدعوين؛ هذا غني، إذن سأقدمه على الفقير.. هذا ينتمي لجماعتي لذلك سأقدمه على من لا ينتمي لي.. هذا أعلى اجتماعيًا، فسأقدمه على ذاك! فيبدأ البشر في وضع معايير أخرى في الدعوة غير التي أرادها الله سبحانه.

وهكذا تبدأ الدعوة في الانحراف... بدايات صغيرة، صغيرة إلى أن تنحرف بعيدًا عن المسار الذي يريده الله عز وجل، وأن الله –سبحانه وتعالى– وضع للداعية هدفًا أساسيًا ورئيسيًا وهو تزكية الناس؛ {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى} [عبس: ٣]، {وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى} [عبس: ٧].

فأنت لك **وظيفة أساسية**؛ فالذي يأتيك يطلب هذه الوظيفة منك –**وهي التزكية**– لا تتردد معه.. قد يتعارض هذا مع بعض المجهودات والأعمال عند الداعية، إذًا عليه أن يرتب الأولويات بما يرضي الله –عز وجل–، بالطبع هذا يحتاج إلى استقراء القرآن والسنة، لكن ليس الترتيب الأوحد أن الغني يقدم على الفقير أو من أعرفه يقدم على من لا أعرفه.. أبدًا.

هنا وضع الله معايير منها: المُقبِل يُقدَّم على المُعرِض –هذه إحدى المعايير التي جاءت في السورة– من جاءك يختلف عمن هو مستغنٍ، قال الله: {أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى} [عبس: ٥–٦]، {وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى} [عبس: ٨]

فعندما يكون هناك شخصان: أحدهما غني وأعلى اجتماعيًا وأعرفه ويحبني وأيًا كانت المواصفات الجيدة التي لديه وتفضلها بالنسبة لك كشخص، والآخر فقير وأقل اجتماعيًا ولا تعرفه ولكنه مُقبِل ويريد أن يتزكى أما الأول فمُعرِض، فأنت يجب عليك عندما يحدث تعارض في المجهودات أن تُقدِّم هذا الشخص المقبِل، لأن الله عز وجل قال: {وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى} [عبس: ٨]، لا نريد أن تؤثِّر المعايير الرأسمالية المادية –التي انتشرت ونشرها الغرب في العالم– على معايير الدعاة، فالدعاة لديهم معايير ربانية، وهذه أهم نقطة في السورة: ((**ضبط المعايير عند الداعية**)) وألا يتأثروا بالمعايير الأرضية –معايير المادة– لأن لهم معايير ربانية وضعها الله عز وجل. والإنسان سيُسأل، والداعية سيُسأل لماذا قدمت هذا على هذا؟!

الله عز وجل سألَ سيدنا عيسى عليه السلام: {أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ} [المائدة: ١١٦]؛ وسيُسأل كل داعية هذا السؤال، أأنت قلت للناس هذا الكلام؟ ما الدافع من وراء هذا الكلام؟ ماذا تريد من هذا الكلام؟ ما الغرض من هذا الكلام؟ لماذا فضلت فلانًا على فلانٍ؟ سيُسأل الداعية حتى عن قسمات الوجه، فقد جاء العتاب هنا باسم (عبس)، حتى عن قسمات وجهه، لماذا هششت وبششت لهذا الظالم وأنت تعلم أنه ظالم؟ لماذا هششت وبششت له؟ هل لك غرض شرعي؟ هل لك حجة شرعية تقولها أمام الله عز وجل؟ كل هذا سيُسأل عنه الداعية.. نسأل الله أن يحفظنا جميعًا وأن يسددنا وأن يوفقنا.

إزالة الحرج من صدر الداعية

{عَبَسَ وَتَوَلَّى} [عبس: ١]

تتَبُّع هذا الحدث من السِيَر يطول، لكننا نريد أن نتتبع القرآن.. القرآن ذكر كلمة {أَنْ}؛ {أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى} [عبس: ٢]

متى عبس النبي صلى الله عليه وسلم وتولى؟ متى تغيرت قسمات وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم واتجه إلى ما هو أولى؟

ماذا يقول القرآن؟ {أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى}

{أَنْ} هنا لها معنى من اثنين:

١- إما لأن جاءه الأعمى: تعليلية

٢- أو (أن): أي بمجرد أن جاءه الأعمى

مثل: {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى} [العلق: ٦-٧]؛ إما لأنه رأى نفسه استغنى، أو بمجرد أن رأى نفسه استغنى، والمعنيان صحيحان.

إذًا التغيُّر عند النبي صلى الله عليه وسلم حدث بمجيء الأعمى، فعندما نتخيل المشهد: النبي صلى الله عليه وسلم يدعو العظماء والكبراء من قريش، بمجرد مجيئه -لأن بعض الروايات تقول أنه ظل يشد يد النبي صلى الله عليه وسلم، أو ظل يشغله عن دعوة الآخرين-، فالقرآن يقول بمجرد المجيء حدث التغيير داخل نفس النبي صلى الله عليه وسلم، وظهر ذلك على وجهه صلى الله عليه وسلم... إذًا بمجرد مجيء الأعمى... إذًا هنا الداعية من الممكن أن يكون في صدره حرج من وجود بعض الفقراء معه، ويرى أن وجود بعض الفقراء قد يُنفِّر الأغنياء... لا؛ هذا التقسيم لا ينبغي أن يكون... بل **هذا الحرج** الذي هو بداخل صدور بعض الدعاة – أنه يتحرج أن يكون في المدعوين بعض الفقراء وأن هذا قد ينفر الأغنياء – **لا ينبغي أن يكون في صدر الداعية**.

إذًا الداعية مطالَب بأن يحذر مما يحدث في داخل صدره، مما يحدث في داخل نفسه، لماذا يشعر بالحرج أو الضيق من وجود شخص ما؟ لماذا يشعر بهذا الحرج؟ هل بسبب أمور ومعايير شرعية يرضاها الله عز وجل؟

فالقرآن هنا يخبرنا أن ذلك حدث بمجرد مجيء الأعمى، فلم يحدث انشغال بعد، أي بسبب المجيء، ولم يقل أن الأعمى شغله، تعبير القرآن قال: {أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى}.

فلماذا لم يقل ابن أم مكتوم؟ و يُعرَف من السيرة أنه أعمى، إذًا لأن السبب أنه أعمى..

إذًا مجيء شخص فقير أعمى جعل النبي صلى الله عليه وسلم يعبس في وجهه ويتولى ويعرض عنه إلى هؤلاء، ويشعر بحرج في صدره أن يظن الأغنياء أن هؤلاء هم أتباع الأنبياء.. وهذا حق، سيظل هؤلاء (الفقراء) هم أتباع الأنبياء، وهرقل كان يعرف هذا عندما سأل مَن في الأتباع الأكثر؟ الأغنياء أم الفقراء؟ كان جواب أبو سفيان: الفقراء، قال هرقل: وكذلك أتباع الأنبياء.

إذًا {فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ} [الأعراف: ٢]؛ لا ينبغي أن يشعر الداعية بحرج من السنن الكونية والسنن التشريعية، لا ينبغي وجود الحرج في الصدر

بمجرد شعورك بحرج في صدرك من شيء في الدين اعلم أنك ستترك شيئًا مقابل هذا، {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ} [هود: ١٢]

بمجرد ضيق صدرك بشيء اعلم أنك لن تستطيع أن تتحدث عنه بشكل جيد، إذا كان بداخل صدرك ضيق ولا تستطيع أن تتكلم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ستجد أنك لن تستطيع أن تأمر بالمعروف وتنهَ عن المنكر بشكل جيد، عندما تجد في صدرك ضيق وحرج من الولاء والبراء ستجد أنك لا تستطيع أن تطبق الولاء والبراء بشكل جيد، كذلك من الجهاد، كذلك من الإيمان والكفر والفسق والنفاق، من كل هذه المعلومات العقدية اللي تُصدر للناس وتُبين للناس، عندما تجد في صدرك حرج من الغيب، من الأحاديث والآيات القرآنية التي تحدثت عن الغيب لن تستطيع أن تبلغها كما يريدها الله عز وجل..

فمثلًا من في صدره حرج من جهاد الطلب يظل يتكلم بأن الإسلام انتشر دفاعًا عن النفس ولم يستعمل سيفًا! ويظل يأتي بكل أحداث السيرة والتاريخ ويبررها، لماذا؟ لأن في صدره حرج من ذلك... فلا ينبغي أن يكون في صدر الداعية أي حرج من أي تشريع وضعه الله عز وجل، أو من أي سُنَّة سنَّها الله عز وجل.

إذًا السورة **بدأت** بملمح من قسمات وجه النبي صلى الله عليه وسلم في موقف أثناء الدعوة، وكأن النبي صلى الله عليه وسلم -إذا اعتبرنا أن ترتيب السور: النبأ والنازعات هي أوامر لإلقاء النبأ على المجتمع، ودعوة الناس عن يوم القيامة- وبالفعل نَزَلَ النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الأشياء وتكلم فيها، وكان حريصًا على إيمان الزعماء، نقول **أن ما حدث هذا ليس مجرد تخليد لموقف بسيط** -بأن شخصًا حَزِنَ **فالأمر كان تطييبًا لخاطره**، وإن كان هذا يعتبر من جبر الخواطر وهو أمر معتبر في الشرع- لكن الأمر أكبر من ذلك، نحن نقول أن الأمر قد يؤدي إلى انحراف في الدعوات، ودائمًا كان القرآن مع النبي

صلى الله عليه وسلم يبدأ يستدرك الأمر من بدايته لأن النبي -كما أخبرنا- هو معصوم من ذلك، لكن لا بد للدعاة أن يكونوا على حذر من هذه الأشياء.

فنؤكد ثانية هذه القاعدة: لا ينبغي أن يكون في صدر الداعية أي حرج من أي سنة شرعية وضعها الله عز وجل وبينها في القرآن أو في السنة النبوية.

ثم يقول الله عز وجل: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى} [عبس: ٣]

هذه الكلمة مهمة جدًا بالنسبة للداعية، لماذا؟

اعتبارات الإيمان

أحيانًا الداعية لا يتوقع الخير الذي بداخل الإنسان..

فمثلًا: أنا لي تقييم... فيأتِ شخص في بداية التزامه.. فأنا أقول لا لا.. فلان هذا ستجده مثلًا لن يستطيع فعل شيء، أو هذا فقير ومستواه التعليمي بسيط فلا تضيع وقتك معه... هذه المعايير في التقييم فيها خطورة.

قد يقول أحد أنه أحيانًا يكون هناك تعارض وعليك أن تُقَدِّم.. أنا لا أتحدث عن التعارض، أنا أتحدث عن إعطاء هذا التقييم ابتداءً، أن تقول: لا، أنا لن أعطي لهذا وقت سوف أعطيه لآخر! ويكون للأمر اعتبارات أخرى، الله يقول لك {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى}.. أنت لا تدري الخير الذي قد يكون داخله، لا تدري كيف أن هذا الأعمى سيفيد الدين! أحيانًا أنت لا تتخيل!

كل إنسان قد يكون داخله إيمان أنت لا تتخيله، وأيضًا قد يكون داخله فجور أنت لا تتخيله! {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا} فأصبح في النهاية مثل الكلب يلهث.. **وعلى العكس قاتل المائة**؛ من كان يتخيل الخير داخله وهو ينظر إليه وهو يقتل! والله تعالى أنزل إليه الملائكة وحرك الأرض لأجل شخص.. وشخص قاتل! وبالرغم من أن آخر من قتله كان راهبًا؛ شخص يعمل لدين الله!

وأنت تقول: لا.. لا يمكن أبدًا أن يُرجَى منه أمل.. لكن {وَمَا يُدْرِيكَ}! قد يتزكى

وظيفتك هي أن تطرح آيات القرآن وتبين له هذه الآيات ثم ما يدريك ماذا ستفعل هذه الآيات في هذه النفس البشرية، هذه الآيات القرآنية التي تؤثر في الحجر، ولو نزلت على جبل لدكته و{لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ}! فما يدريك ما تأثير هذه الآيات في هذا الشخص! هذا الشخص قد يتغير.. قد ينقلب.. قد يفيد الدين بأشياء أنت لا تتخيلها.

دور الداعية هو أن يُعرِّض الناس لآيات القرآن

في الأثر المشهور –وإن كان فيه ضعف سندًا، ولكن تناولته السِيَر– عن نعيم ابن مسعود عندما قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «خَذِّلْ عَنَّا مَا اسْتَطَعْتَ»[٢] فأنت ما يدريك ماذا سيفعل في الأحزاب؟ وأن ربنا جعله سببًا في حل أزمة رهيبة في غزوة الأحزاب.. **فأنت لا تدري ما الذي يمكن أن يفعله الشخص الذي أمامك!**

[٢] فلمَّا جاء نُعَيمُ بنُ مَسعودٍ مُسلِمًا، أوصاهُ أنْ يكتُمَ إسلامَه وردَّه على المشركينَ يُوقِعُ بينَهم، وقال له: إنَّما أنتَ فينا رجلٌ واحدٌ فخذِّلْ عنَّا إنِ استطَعْتَ..

الراوي : – | المحدث : الألباني | المصدر : فقه السيرة

الصفحة أو الرقم: ٣٠٥ | خلاصة حكم المحدث : هذه القصة بدون إسناد

{وَمَا يُدْرِيكَ}: هذه كلمة تُعَرِّف الداعية ألا يعتمد على تقييمه الخاص، وألا يعتمد على التقييم الابتدائي الذي يراه في أول مرة يتعرض فيها لشخص ما، فهو بدون إرادته يتعرض لتقييم ابتدائي وأحيانًا يصنفه، وهذه من أشد الأخطاء التي وقعنا فيها وأدت إلى التحزبات والتفرق.

أنت ما يدريك ماذا سيحدث له عندما يتعرض لآيات القرآن؟ فقط دورك هو تعريض الناس لآيات القرآن { يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} [آل عمران: ١٦٤].. هذا هو دورك.

الله عز وجل يقول عن الكافر: {فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} [التوبة: ٦]؛ حتى يتعرض لهذا النور، ثم ما يدريك ماذا سيحدث بعد ذلك؟

ما الذي سيحدث عندما يتعرض الشخص لآيات القرآن؟ أحد أمرين:

١- {لَعَلَّهُ يَزَّكَّى} [عبس: ٣]

٢- {أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى} [عبس: ٤]

المرحلة الأعلى والتي بدأ بها -وهي التي كان ابن أم مكتوم أهلًا لها رضي الله عنه- هي: **أن يتزكى**.. **فالتزكي** عبارة عن أن يتفاعل الشخص مع آيات القرآن تفاعلًا حقيقيًا فتطهر النفس وتنمو، فالتزكي فيه نماء وطهارة -والمعنين ذكرناهم في سورة النازعات- وهذا أعلى شيء يحدث حين يتعرض الإنسان للقرآن.. وهذه هي نفس الكلمة التي أخبر الله سيدنا موسى أن يقولها لفرعون: {اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى} [النازعات: ١٧-١٨]. فإذا كان الله يقول لسيدنا موسى قل لفرعون {هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى} فإذًا ما يدريك بأن ابن أم مكتوم لعله سيتزكى؟ وهو بالفعل مسلم وقد يزداد في التزكي!

ولكن إذا فرضنا أن هذا الشخص لن يتزكى، وإيمانه لن يزيد، فلماذا أكلم شخصًا هناك احتمال ألا يزيد إيمانه؟ فيخبرنا بالاحتمال الثاني: أن يتذكر... **ما الفرق بين التزكي والتذكر؟**

- **التذكر**: تظل المعلومة في الذهن ولم تغير ما في القلب، تظل في عقله وقد تنفعه في المستقبل، ولهذا قال الله: {أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى}.

مثال: تكلمت مع شخص ما عن الأثر الدنيوي للدين وعن الدار الآخرة وعن حسن الخاتمة وسوء الخاتمة.. وهذا الكلام لم يتوغل لقلبه، فلم يجعله يتخذ قرارًا الآن بترك المعاصي والالتزام، المعلومات لم تتوغل بعد للقلب ولم يصل إلى مرحلة التزكي، لكن المعلومة بقيت في مرحلة التذكر، فيأخذ هذا الشخص هذه المعلومة ولم يتغير ويتركك، فتظل تعتقد بداخلك أنك أضعت وقتك معه وأنه لا يُرجَى منه أمل، لكن لا زالت المعلومات بداخله، فعندما يأتِ موقف؛ يتوفى صديقه أو يمرض والده أو يخسر ماله فيتذكر هذه المعلومات فعندها يتزكى، فيأتي القدر بتقدير من الله عز وجل للوقت الذي يحدث فيه التزكي.. **فكلمات الداعية هي عبارة عن طرقات على جدار الغفلة**... فعندما تطرق على جدار غفلة شخص ما ولم يتكسر هذا الجدار، فاعلم أنه بإذن الله تعالى هذه الطرقة هزت الجدار ولو قليلًا وجعلته هشًا... وعندما تحدث له الطرقة التالية، والتي من الممكن أن تأتي من أحد غيرك؛ مثل: الأقدار أو داعية آخر أو موقف مثل نزول المطر الغزير أو ضياعه فيدعو الله فيهديه أو أي موقف عجيب.. فأنت لا تدري ماذا سيحدث من كلماتك! فالداعية لا ييأس أبدًا مما يلقيه من كلمات.

- {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى}: **التزكي** هي المرحلة الأعلى، والمرحلة الأقل منها هي: {أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى} [عبس: ٤]

بعض العلماء قام بالتفرقة بين مصطلحي (يتذكَّر، يذّكّر)، **يتذكَّر**: أي يتذكر المعلومات التفصيلية وهي تكون عند الشخص المركِّز.. أما **يذّكّر**: يتذكر المعلومات المجملة، وبالتالي إذا الشخص أخذ منك كلامك مجملًا؛ فلا بأس.

{أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى} أي فتنفعه في المستقبل هذه الذكرى.

وبالتالي **دور الداعية هو أن يُعرِّض الناس لآيات القرآن**، {يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا}، وبعد تلاوة الآيات تحدث التزكية، وبعد التزكية يحدث التعليم {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}، {يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} [الجمعة:٢]، هذه هي **المراحل التي يمر بها الداعية أثناء الدعوة**:

- تلاوة الآيات
- تؤدي إلى التزكية
- وتؤدي إلى دخول العلم إلى قلب طاهر

فعندئذ ينفع العلم. فيقول الله عز وجل: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى}، فإن لم يحدث التزكّي، فيحدث التذكُّر {أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى}.

فيحتمل أن يكون تقييم الداعية خطأ، ويُقيم أن الشخص الذي أمامه لا يُرجى منه أمل في الهداية، فيأتِ قول الله تعالى له: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى} ليكون قاعدة عامة للدعاة،

ومن المشهور في السير عندما كان الصحابة في الجاهلية يقولون: (لو أسلم حمار ابن الخطاب ما أسلم عمر) وقد أسلم عمر رضي الله عنه! بل وكان ثاني رجل في الأمة بعد أبو بكر رضي الله عنه، بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

التعامل مع المستغني

ثم يقول الله عز وجل: {أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى} [عبس: ٥-٦] على أي أساس اخترت هذا الشخص الآخر بالرغم من أنه استغنى! **وهذه أكثر صفة تجعل الإنسان لا يستفيد من الكلام (المستغني)**! المفتقر لله هو الذي ينتفع بالدعوة والوعظ.. لذلك من أهم طرقات القرآن على القلب الغافل أنه يبين أماكن الضعف عند النفس البشرية؛ مثلًا: يأتي بالإنسان ويضعه في منتصف البحر ويذكِّره بضعفه في هذا الموقف... يُذكِّر الإنسان بلحظة الموت ويخبره أنه في هذه اللحظة يكون ضعيفًا.. يُذكِّر الإنسان بلحظة {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى} ويقول له: أنت ضعيف.. يُذكِّر الإنسان وهو على فراش المرض، ويقول له: أنت ضعيف.. فالقرآن يُذكِّر الإنسان بلحظات الضعف حتى يشعر بحاجته إلى الله {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [فاطر: ١٥].. أنت تحتاج إلى الله!

ولكن المستغني يقول: لست بحاجة إلى الدين! لا أحتاج إلى الحديث عن ماذا يفعل لي التزامي بالدين في الدنيا أو الآخرة... فهذا المستغني لن ينفعه ما تقول له من كلام.

فالله عز وجل يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: {أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى} أنت ذاهب إلى المستغني الذي ظن نفسه غنيًا، أو ظن أن ما معه سينفعه، {فَأَنْتَ} أي الأولى أن يكون تصرفك غير هذا.. {لَهُ} كأنك فرِّغت نفسك له -لماذا؟-..

{تَصَدَّى} **قيل الصدى:**

- إما يأتي من كلمة العطش -أي كأنك تظل تبذل جهدك معه إلى حد العطش-
- أو التصدي له كالجبل، فتقف له كالجبل!

أي هل ستفني عمرك وتتعب وتعطش كل هذا بسبب شخص مستغنٍ! كلا.. ليست هذه هي المعايير التي يريدها الله عز وجل. هذا شخص استغنى، فأنت تعطي له بقدر استغنائه، و((**عندما يتعارض المستغني مع المقبل فلا بد أن تختار المقبل، وهذا معيار شرعي**)) ذكرته السورة بوضوح.

وهذا حتى لا يأتِ أحد ويظن -خطأً- أن عليه تفضيل المستغني الذي يعرفه عن المقبل الغريب عنه!

هذه معايير شرعية سوف تُسأل عنها يوم القيامة.

الدعاة علمهم الله عز وجل من فضله {لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا}، فهم ليسوا أحرارًا في اختيار مَن يعلمونهم، ليسوا أحرارًا لمن يضحكون ولمن يعبسون.. كل داعية سيسأل!

كما قال الله عز وجل: {أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ}، الداعية سيُسأل عن كلامه، عن خطواته، عن حركاته، فلا بد أن يكون لديه إجابة لماذا فعل هذا ولم يفعل ذاك!

{أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى} أغلب من يقوم بذلك من الدعاة ليس حرصًا على المال، والنبي صلى الله عليه وسلم كان حريصًا على إيمان هؤلاء الأغنياء من قريش وألا يُخلدوا في جهنم.

بعض الدعاة قد يظنون أن الآيات تُقدم الفقير على الغني... كلا.. **ليست القضية هنا قضية غني وفقير، بل قضية قبول وإعراض**.. وبعض المفسرين قال: {اسْتَغْنَى} أي استغنى بالمال... كلا؛ القضية هنا ليست أن القرآن يقدم الفقير على الغني.. فإذا كان هناك غني مُقبِل وفقير مُعرِض، فالاختيار يقع على المقبل، فعند التعارض نختار المقبل.

فالله سبحانه وتعالى عندما ذكر كلمة {اسْتَغْنَى} لم يذكر ضدها كلمة (فقير)! قال الله عز وجل: {أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى}، لم يقل: (وأما الفقير)، ولكن قال: {وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى}، فكلمة {جَاءَكَ} هي **عكس** كلمة {اسْتَغْنَى}.. فمن استغنى كأنه أعطى له ظهره ومضى... {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ} [الكهف: ٦]؛ {عَلَى آثَارِهِمْ} هم ليسوا موجودين؛ قد مضوا وأعرضوا، فلماذا تكاد تهلك نفسك من أجلهم! اهتم بالمقبل الذي يطلب الدين، حتى إذا كنت تعتقد –والكلام يُقصد به الداعية وليس النبي صلى الله عليه وسلم– أن الفقير لن يفيد الدين!

قد يظن الداعية أن إسلام المعرِض الغني والتزامه يفتح للدين فينفق ماله في سبيل الدين، وأن الفقير المقبل لن يفيد الدين.. فيقول الله عز وجل: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى} [عبس: ٣].

ليس عليك هداهم

قال الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم: {أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى}.. ونظن في غالب الدعاة –إن شاء الله– أن غرضه هو نشر الدين، ويتألم قلبه إن لم يُسلم هذا الشخص أو لم يلتزم بالدين، فيزيل الله عز وجل عنه هذا الحرج، لأن الإنسان يكلف نفسه ما لا يُطيق أحيانًا، فيقول له الله عز جل: {وَمَا عَلَيْكَ} أنت لن تُحاسب على هذا، {وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى} [عبس: ٧] هذه الكلمة تُحدث للداعية توازنًا نفسيًا.

ولذلك أحد أدعية المؤمنين: {رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ} [البقرة: ٢٨٦]، ففي بعض الأوقات يُحمِّل الداعية نفسه ما لا طاقة له به، يُحمِّل نفسه أن يلتزم جميع الشباب، يُحمِّل نفسه أن جميع الناس يجب أن تَدخل في دين الله، ويصل بنفسه إلى نوع من التوتر النفسي فيضطر إلى أن يتخلَّ عن أشياء من الثوابت، ويضطر أن يبدل ويغير في الدين! الله لم يأمرك بكل هذا، فلماذا تُحمِّل نفسك ما لا تُطيق!

فهذه الكلمة تُحدث توازنًا نفسيًا عند الداعية، فكأن الله عز وجل يخبره أنه عز وجل لم يفرض عليه كل هذا {وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى}، لسان حال الداعية: ما الذي أفعله يا رب في هذه الحالة؟ فيأتيه الجواب: {وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى} هذا هو الذي عليك أن تلتفت له، {وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ} يأتي لك برجليه، ولا يأتي فقط، بل يأتي إليك وهو {يَسْعَى} جاء وهو يبذل مجهودًا، فكيف تفضل من استغنى على من جاءك يسعى؟! انظر إلى المعايير الربانية التي توضح الأمور.. ليست قضية غنى وفقر!

{وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى} [عبس: ٨].. انظر إلى جمال اللفظ: {وَهُوَ يَخْشَى}، قيل: أي يخشى الله، وقيل: يخشى أن تُعرِض عنه.. إن كان القصد هو أنه: (يخشى الله)، فكيف يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويخشى الله؟

انظر إلى فقه الصحابة، فقد كانوا يرتبطون بالنبي صلى الله عليه وسلم ولكن قلوبهم معلقة بالله سبحانه وتعالى.. قال الله عز وجل: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي..}، هل قال: (وتشتكي إليك)؟ لا، بل قال: {وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ} [المجادلة: ١].. فهي كانت تكلم النبي صلى الله عليه وسلم لكن الشكوى في الحقيقة كانت إلى الله، فقلبها متعلق بالله وليس بالرسول صلى الله عليه وسلم {تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ}..

وهنا أيضًا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعلم أن الهداية بيد الله عز وجل، ويعلم قول الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ...} [القصص: ٥٦]، وهو مأمور أن يذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقد فعل ما أمره الله به.. وهذا يجب أن يكون ما يشعر به كل مدعو أو من يطلب الهداية، أو من يذهب إلى عالم أو داعية أو يذهب إلى شخص يعلم أن عنده خير، وألا يتعلق قلبه به أبدًا! ويعلم -عندما يذهب إلى العالِم- قوله سبحانه وتعالى: «يا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ -وكذلك العالِم- إِلَّا مَن هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَن أَطْعَمْتُهُ»[٣]، يجب

[٣] قال اللهُ تعالى : يا عبادي ! إنِّي حرمتُ الظلمَ على نفسي ، وجعلْتُهُ مُحَرَّمًا بينَكم فلا تَظَّالموا ، يا عبادي ! كلُّكُم ضالٌّ إلَّا مَنْ هديتُهُ ، فاستهْدُوني أَهْدِكم ، يا عبادي ! كلُّكُم جائعٌ إلَّا مَنْ أطعمْتُهُ ، فاستطعِموني أُطْعِمْكُمْ ، يا عبادي ! كلُّكم عارٍ إلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ ،= =فاستكسوني أَكْسُكُمْ ، يا عبادي ! إنكُمْ تُخْطِئونَ بالليلِ والنهارِ وأنا أغفِرُ الذنوبَ جميعًا ، فاستغفروني أغفرْ لكم ، يا عبادي ! إنَّكم لن

عليه أن **يُعلِّق قلبه بالله وليس بالشخص**.. والذي يذهب إلى عالم أو داعية وقلبه متعلق به؛ قد يُحرَم بسبب ذلك، لأن قلبه ليس متعلقًا بالله سبحانه وتعالى.. **فلا بد أن تتعلق القلوب بالله سبحانه وتعالى!**

{وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى} [عبس: ٨-١٠]

{فَأَنْتَ} أي: أنت! أي: ما كان ينبغي أن يصدر منك هذا الفعل! أو {فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى} أي: إذا أنت تلهيت عنه فمن سيكون له!

إذا انشغل الدعاة عن المقبلين بالمعرضين؛ فمن سيُعلِّم المقبلين؟! من يعلمهم أمر دينهم من سيزكيهم؟ من سيتلو عليهم الآيات؟ من سيعلمهم الكتاب والحكمة؟

يقول الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم: {فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ..} [الأنعام: ٣٥]، هؤلاء ظلوا يطلبون طلبات متتالية لآيات كثيرة! فلو انشغل الدعاة بنفق الأرض أو سلم السماء، أو انشغلوا بطلبات هؤلاء المعرضون وتركوا المقبلين! مَن سيُعلِّم المقبلين؟!

{فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى}: (عن): يطلقون عليه (حرف التجاوز).. أي: لماذا أنت بعيد عنه وتتركه؟!

تبلغوا ضُري فتَضُرُّوني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي ! لو أنَّ أوَّلكم وآخرَكُم ، وإنسَكُم وجنَّكم ، كانوا على أتقَى قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم ما زادَ ذلِكَ فِي مُلْكِي شيئًا ، يا عبادي ! لوْ أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم ، وإنسَكم وجنَّكم ، كانوا على أفجرِ قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم ما نقَصَ ذلكَ مِنْ مُلْكِي شيئًا ، يا عبادي ! لو أنَّ أوَّلَكُم وآخِرَكُم ، وإنسَكُم وجِنَّكُم ، قاموا في صعيدٍ واحدٍ ، فسألوني فأعطيْتُ كلَّ إنسانٍ مسألَتَهُ ، ما نقَصَ ذلِكَ مِمَّا عندي ، إلَّا كما يَنقُصُ الْمِخْيطُ إذا أُدْخِلَ البحرَ ، يا عبادي ! إنَّما هي أعمالُكم أُحْصيها لَكُم ؛ ثُمَّ أُوَفِّيكُم إيَّاها ، فَمَنْ وجدَ خيرًا فلْيَحْمَدِ اللهَ ، ومَنْ وجدَ غيرَ ذلِكَ فلا يَلُومَنَّ إلَّا نَفْسَهُ

الراوي : أبو ذر الغفاري | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الجامع

الصفحة أو الرقم: ٤٣٤٥ | خلاصة حكم المحدث : صحيح |

معايير ظبط الأولويات

ثم تأتي الكلمة العجيبة في السورة، حتى أن المفسرين وقفوا أمامها بحرج أثناء تفسيرها، وهي: {تَلَهَّى}.. الله عز وجل يقول للنبي صلى الله عليه وسلم: {فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى}.. أي: **كأن الداعية إذا فعل أمرًا ليس من الأولويات وترك الأولى له في الدعوة؛ يُخاطَب بلفظ {تَلَهَّى}**... كأن الانشغال بالمعرِض وترك المقبِل سماه الله عز وجل (تلهي)، فليحذر الداعية وليحذر طالب العلم.

أحيانًا ينشغل طالب العلم بأن يتعلم أشياء الواقع ليس في حاجتها، ويكون الواقع يحتاج إلى أشياء أخرى على طالب العلم أن يتعلمها، هذا نوع من أنواع التلهي.. **أن ينشغل الداعية بأمور ليست في واقعه، هذا نوع من أنواع التلهي**.. لا بد أن يحذر الداعية، ويحذر العامل لدين الله عز وجل.

وكذلك؛ ليحذر المنفِق الذي يريد إنفاق المال في سبيل الله.. ليست القضية في إنفاق المال، ولكن إلى أين سيذهب المال، وهل يذهب إلى المكان الصحيح أم لا.. {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ..} [التوبة: ١٩].. **أن تعمل أعمالًا صالحة معينة في وقت يكون الدين فيه بحاجة إلى أعمال أخرى هذا يسمى (تلهي)**.. ولهذا فالقضية ليست أن تعمل أي خير أيًا كان... لا؛ ولكن هناك معايير لضبط أولوياتك، فقد يسمى فعلك لنصرة الدين في وقت من الأوقات -إذا أعرضت عما هو أولى- قد يُسمى تلهي {**فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى**}.

صدٌّ عن سبيل الله

قال بعض العلماء عن فعل (تلهى) أنه فعل من الأفعال المطاوعة؛ أي: بالرغم من أن الفاعل هو الذي قام بالفعل لكن لم يفعله بمفرده، أي أن هناك فاعل آخر هو الذي أحدث هذا الفعل، فيسمى -هذا الفاعل الآخر- طاوع الفاعل الأول!

مثال: عندما يأتي الطفل إلى والده فيقول له: الكوب انكسر! انكسر على وزن (انفعل)، هذه صيغة من صيغ أفعال المطاوعة.. فيقول له: من الذي كسر الكوب؟ فهو لم ينكسر بمفرده.

أي أن الكوب (الفاعل الأول) طاوع فاعلًا آخر، بالرغم من أن جملة (انكسر الكوب) هنا (الكوب) فاعل لغةً... ولكن هناك فاعل آخر هو الذي أحدث هذا الفعل.

فبالرغم من أن الكوب انكسر لكنه طاوع فاعلًا آخر لكي يحدث الكسر، لكن من هو الفاعل الحقيقي؟ الطفل

فهذه هي الأفعال المطاوعة، أي: أن الفعل لم يحدث بمفرده.

مثل قوله: {إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا} [الشمس: ١٢] -وشرحها جاء في خطبة بعنوان: تفسير سورة الشمس- {إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا} فهنا هذا الشخص لم يقم وحده، بل كان هناك من يحفزه لقتل الناقة فقام وقتلها.

فكلمة {تَلَهَّى} تدل على أن **أهل الباطل** يحاولون أن يقوموا بإلهاء العاملين لدين الله، ولم يفعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك من تلقاء نفسه، ولكن هم كانوا يقصدون أن يشغلوه عن الفقراء، ويشغلوه عن المقبلين، فهم **يقصدون ويتعمدون أن يشغلوا الداعية**، ودائمًا ما يقوم أهل الباطل بذلك؛ فيقوموا باصطناع أشياء وأفعال تلهي الداعية...

فمثلًا حين يخوض الداعية معركة معينة بين الحق والباطل، فيثيرون الشبهات ويطلقونها، لينشغل الداعية بها.. كما نرى الآن الشبهات حول عذاب القبر، والبخاري، وأمور قُتلت بحثًا، وتم الرد عليها مرارًا، فيبحث لك عن قضية يشغلك بها، أو يلقي عليك تهمًا، ويتهمك في عرضك أو يتهمك بأشياء معينة، ليلهيك ويشغلك عن قضيتك الأساسية، هم يعلمون أن هؤلاء الفقراء المقبلين لو تُرِكوا وتعرضوا لكتاب الله عز وجل فستتغير أحوالهم، لذلك هم يريدون أن يلهوك عنهم.. فهل كانت مشكلة أغنياء قريش هي

وجود الفقراء؟ هل كانت هذه هي المشكلة الوحيدة المانعة لإسلامهم؟! فلو حدث وذهب الفقراء؛ هل كان أغنياء قريش سيسلمون فعلًا؟

لا.. لم تكن هذه المشكلة، ولكن كانوا يريدون أن يلهوا الداعية عن دعوته {فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى} [عبس: ١٠].

وظيفة الداعية

فيقول الله له: {كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ} [عبس: ١١]

{كَلَّا} هذه الكلمة الشديدة تقال للداعية الذي يقدم أشياءً ليست من الأولويات؟ نعم؛ الداعية لا بد أن يكون على حذر في خطواته، وفي كلماته، وأن يزن أفعاله بميزانٍ شرعي.

{كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ} أي أن **وظيفته هي التذكرة**، أو أن الدعوة تذكرة، أو أن القرآن تذكرة -أيًا كان- فدورك أنت أن تكون مذكرًا؛ {إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ} [الغاشية: ٢١].. أنت لست مسؤولًا عن هذا الشخص أو ذاك، ولكن {وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى} [عبس: ٧].. وظيفتك حتى لا تنساها في مشاغل الحياة: {كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ} [عبس: ١١-١٢].

ولكن أين توجد هذه التذكرة وهذه الآيات؟

{فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ} [عبس: ١٣-١٦].

هنا نجد أن الله سبحانه وتعالى وصف الصحف بثلاث صفات، ووصف حاملي الصحف بثلاث صفات.

وصف الصحف بأنها مكرمة ومرفوعة ومطهرة.

ووصف حاملي الصحف بأنهم سفرة وكرام وبررة، وهذه الصحف بأيديهم.

وهذه الصحف قيل أنها مع الملائكة، أو الوحي الذي يكون مع الملائكة، أو الصحف التي في أيدي الملائكة التي يكتبون فيها الأعمال، وجاء في بعض الأقوال أن هذه الصحف هي القرآن –كتاب الله عز وجل– الموجود بأيدي الصحابة.

فكلمة "سَفَرَةٍ، كِرَامٍ، بَرَرَةٍ" إما أن يقصد بها الملائكة، أو يقصد بها الصحابة.

وكلمة الصحف إما يقصد بها الصحف التي مع الملائكة سواء التي كتب فيها الوحي، أو التي يكتب فيها أعمال العباد، أو آيات كتاب الله عز وجل.

هذه الصحف –التي هي "تذكرة" المقصود بها الوحي– يقول الله تعالى أن هذه الآيات مكتوبة في صحف، في أيدي الملائكة، فكذلك يقاس عليها العاملين لدين الله من أهل الأرض.. فطالما أن الله عز وجل وصف الصحف –التي هي آيات القران– بأنها مكرمة، فلا بد أن تُكرَم، ليس لأحدٍ أن يستخف بآيات القرآن، ولا أن تأتي بآيات القرآن فتتأوّلها بطريقة معينة مثلًا لتُرضي بعض الأشخاص.. كلا! القرآن يظل مكرمًا! لا تجعل ضغط البشر عليك يضطرك إلى أن تغير في طريقة عرضك للقرآن، **لا بد أن تحافظ على مستوى التكريم الذي ارتضاه الله عز وجل لآيات كتابه.**

{مَرْفُوعَةٍ} فإذا لم يرتفعوا لمستواها فلا تهبط بها إليهم، لا تحقر الآيات، لا تغيِّر في الآيات لترضيهم... {مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ} هذه الأوصاف الثلاثة تشعرك بالرفعة، **فالذي لم يرضَ الارتفاع والعلو فلا تتنازل أنت أو تغير في الآيات أو تبدل**.. وليس معنى هذا ألا تنزل أنت إلى مستوى الناس؛ عليك أن تنزل إلى مستوى الناس وتبلغهم بآيات الله لكن دون تغيير، هذه الآيات ستظل عزيزة، ولهذا يقول الله تعالى: {فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ} [عبس: ١٢].. أي من أراد التذكرة وجاء مقبلًا فلن يمنعه الله، ولكن لا بد أن يُقبل هو أولًا؛ {وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى} [عبس: ٨].

وماذا عن حاملي الصحف؟

{بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ} [عبس: ١٥-١٦].. لا بد أن يتحلى الداعية بهذه الأوصاف.

ما معنى سفرة؟

(السفير) من معناه: الكشف، السُفرة: المكشوفة، وقيل في التفاسير أنها جاءت من كلمة (سَفْر) أي: الكشف عن معاني الآيات.. **فالسفرة هم الذين يكشفون للناس عن معاني القرآن**، ويوضحون لهم معاني الدين، وجاء الوصف أنها (بأيديهم) وهذا يعني التمكُّن منها {بِأَيْدِي} والباء هنا للملاصقة، فهم دائمًا حاملون لكتاب الله، لا يدعون إلا بكتاب الله عز وجل.. حامل لكتاب الله يتحرك به بين الناس، ولا يتحرك بكلامه الشخصي، أهم ما ينشره هو كتاب الله عز وجل.. {بِأَيْدِي سَفَرَةٍ} حامل لكتاب الله يبين للناس معاني الوحي؛ هؤلاء هم السفرة.

{كِرَامٍ} كريم ليس ببخيل.. أو {كِرَامٍ} أي: لا يتدنس بأخلاق الناس، مثل قول الله عز وجل: {وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} [الفرقان: ٧٢]؛ أي لا يتدنس بأي أخلاق سيئة، ولا تؤثر أخلاق الناس السيئة على أخلاقه، فلا تجده يقول: (الناس تعاملني معاملة سيئة، إذًا سأعاملهم مثلها... لا يلقون عليَّ السلام، إذًا لن ألقي عليهم السلام)!

عندما قال والد سيدنا إبراهيم له: {لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا} [مريم: ٤٦]، وكان سيدنا إبراهيم عليه السلام قبلها يقول له أربع مرات: {يَا أَبَتِ}؛ وبعد كل ذلك يقول له سأرجمك بالحجارة! لم يندم سيدنا إبراهيم على تعامله الحسن ونداءه: يا أبت... ولكن قال: {سَلَامٌ عَلَيْكَ} [مريم: ٤٧].. **هذا هو الإنسان الكريم الذي لا يتأثر بأخلاق الناس، ولا يتندس ويتأثر بأخلاق الناس وسوء معاملتهم.**

وهذا أحد معاني قول الله عز وجل في الداعية، كقوله تعالى: {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ} [المدثر: ٤]، لا بد أن تظل ثيابك وأخلاقك طاهرة، ويظل باطنك على طهارته، لا يتأثر أبدًا بأخلاق الناس.

{كِرَامٍ بَرَرَةٍ}.. **البررة**: المتّسِع في فعل الخير للناس.. لذلك حينما قال الله عز وجل: {إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا} [الإنسان: ٥]، ماذا كانوا يفعلون؟ قال من أعمالهم: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} [الإنسان: ٨] **متوسع في أعمال الخير، حتى الأسير الكافر يطعمه.**

وبالتالي من صفات الداعية:

١- أنه بيده القرآن، لا يتحرك إلا بالقرآن.

٢- (سفرة) يوضح ويفسِّر ويُسفر للناس عن معاني القرآن.

٣- (كرام) لا يتأثر بأخلاقهم، ويكون كريمًا معهم.

٤- (برزة) يتوسع في فعل الخيرات.. سواء في الطاعات، أو فعل الخير للناس.

هذه صفات الداعية الذي يتحرك بين الناس.. ثم بعد ذلك ما عليه ألا يزكَّى أحد!

فأنت بذلك أديت ما عليك، لو أنك قصرت في هذه الأشياء ستحاسب عليها.. لكن إذا كنت قد تحليت بهذه الأخلاق، وحملت الصحف بيديك، وكنت من السفرة الكرام البررة -وقلنا أن هذا وصف للملائكة حاملي الوحي، وهو كذلك وصف لحاملي الوحي في الدنيا، لا بد أن تتحلى بهذه الأخلاق- وانتشرت بين الناس؛ إذًا ما عليك ألا يزكَّى أحد.

وكما قالت أمنا خديجة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم: (كَلَّا، أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا)[٤].. طالما أنك تحافظ على هذه الصفات، لا تخف واستمر، ولو اجتمع عليك أهل الأرض {بِأَيْدِي سَفَرَةٍ . كِرَامٍ بَرَرَةٍ}.

---

[٤] أَوَّلُ ما بُدِئَ به رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ في النَّوْمِ، فَكانَ لا يَرَى رُؤْيَا إلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، فَكانَ يَأْتِي حِرَاءً فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ، وهو التَّعَبُّدُ، اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ، ويَتَزَوَّدُ لذلكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إلى خَدِيجَةَ فَتُزَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا، حتَّى فَجِئَهُ الحَقُّ وهو في غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فِيهِ، فَقالَ: اقْرَأْ، فَقالَ له النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: فَقُلْتُ: ما أنَا بقَارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أرْسَلَنِي فَقالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: ما أنَا بقَارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أرْسَلَنِي فَقالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: ما أنَا بقَارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أرْسَلَنِي فَقالَ: {اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ} [العلق: ١]- حتَّى بَلَغَ - {عَلَّمَ الإنْسَانَ ما لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: ٥] فَرَجَعَ بهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ، حتَّى دَخَلَ على خَدِيجَةَ، فَقالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حتَّى ذَهَبَ عنْه الرَّوْعُ، فَقالَ: يا خَدِيجَةُ، ما لِي وأَخْبَرَهَا الخَبَرَ، وقالَ: قدْ خَشِيتُ علَى نَفْسِي فَقالَتْ له: كَلَّا، أبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أبَدًا، إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ علَى نَوَائِبِ الحَقِّ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ به خَدِيجَةُ حتَّى أتَتْ به ورَقَةَ بنَ نَوْفَلِ بنِ أسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ قُصَيٍّ وهو ابنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أخُو أبِيهَا، وكانَ امْرَأً تَنَصَّرَ في الجَاهِلِيَّةِ، وكانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العَرَبِيَّ، فَيَكْتُبُ بالعَرَبِيَّةِ مِنَ الإنْجِيلِ ما شَاءَ اللَّهُ أنْ يَكْتُبَ، وكانَ شيخًا كَبِيرًا قدْ عَمِيَ، فَقالَتْ له خَدِيجَةُ: أيِ ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أخِيكَ، فَقالَ ورَقَةُ: ابْنَ أخِي مَاذَا تَرَى؟ فأخْبَرَهُ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ما رَأَى، فَقالَ ورَقَةُ: هذا النَّامُوسُ الذي أُنْزِلَ علَى مُوسَى، يا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، أكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أوَمُخْرِجِيَّ هُمْ فَقالَ ورَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بمِثْلِ ما جِئْتَ به إلَّا عُودِيَ، وإنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ ورَقَةُ أنْ تُوُفِّيَ، وفَتَرَ الوَحْيُ فَتْرَةً حتَّى حَزِنَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فِيما بَلَغَنَا، حُزْنًا غَدَا منه مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى

الإعراض رغم التذكرة

وبعد كل هذا الوصف، يخبرنا الله عز وجل أن هناك من سيظل معرضًا مهما فعلت، ومهما كانت بأيديك من صحف وكنت من السفرة والكرام والبررة؛ سيظل هناك أناس معرضون! فيقول الله عز وجل: {قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ} [عبس: ١٧]، هناك أناس -بالرغم من كل هذا- سيحافظون على الإعراض -والعياذ بالله-، ولن يقبلوا أن يتزكوا.

فيقول عز وجل: {قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ}

{مَا أَكْفَرَهُ} لها معنيان:

١- (ما) التعجبية؛ أي: (ما أشد كفره)، أي: أبعْدَ كل هذا يَكفر!

٢- (ما) الاستفهامية، أي: (ما الذي جعله يكفر؟)! ما الذي يغضبه؟ ما سبب عدم اقتناعه؟

{قُتِلَ} قيل بمعنى: لُعِنَ.

ولماذا اختار كلمة (قتل) وليس كلمة (لُعِنَ)؟

أحد العلماء حاول أن يُفسِّر، فجَمَّع كلمة (قُتِلَ) في القرآن، فوجدها جاءت في أربعة مواضع: في (الذاريات، والمدثر، وعبس، والبروج).. وحاول أن يجمع ما هو المعنى المشترك، وذكَرَ أن (قُتِلَ) تدل على اللعنة الدائمة وليس أي لعنة، وهذا اجتهاد لبعض العلماء.

{قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ}

ولكن هذا المعرِض {مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ} [عبس: ١٨]؟

لماذا يُعرِض ويتكبَّر! أنى يعرض، وأنى يتكبر!

مِن رُؤُوسِ شَوَاهِقِ الجِبَالِ، فَكُلَّما أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ منه نَفْسَهُ تَبَدَّى له جِبْرِيلُ، فَقالَ: يا مُحَمَّدُ، إنَّكَ رَسولُ اللَّهِ حَقًّا، فَيَسْكُنُ لِذلكَ جَأْشُهُ، وتَقِرُّ نَفْسُهُ، فَيَرْجِعُ، فَإِذَا طَالَتْ عليه فَتْرَةُ الوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذلكَ، فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى له جِبْرِيلُ فَقالَ له مِثْلَ ذلكَ.

الراوي : عائشة أم المؤمنين | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري

الصفحة أو الرقم: ٦٩٨٢ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

الله تعالى يُذكِّره بأصله: {مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ} [عبس: ١٩]. يخبر الله سبحانه وتعالى الإنسانَ هنا بالقصة من البداية، هذه بدايتك! فلِمَ تُعرض، ولأي شيء تتكبر؟!

ولننتبه أن في التذكير بنعم الله على الإنسان في كل سورة هناك محور أو هدف تركز عليه.

سنجد هنا التركيز على قدرة الله المطلقة على الإنسان، وأن الإنسان لا يخرج عن طوعه، لا يخرج عن قدرة الله، أي: مدى قهر الله -عز وجل- للإنسان؛ هذا بالنسبة للصفات التي ذكرت في بداية السورة إلى قوله تعالى: {كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ} [عبس: ٢٣].

وبعد ذلك جاء ذكر نعم أخرى: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ} [عبس: ٢٤]، هذا نوع آخر من النعم.

إذًا جاء في السورة هنا **التذكير بقدرة الله على الإنسان وأن الإنسان لا يستطيع أن يخرج خارج هذه القدرة، مهما أوتي من قوة لن يخرج خارج هذه القدرة**، بالإضافة إلى النوع الثاني من النعم من بداية قوله تعالى: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ}.

النوع الثاني من النعم يركز على شيئين: التنوع والكثرة.

- الكثرة: {أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا} [عبس: ٢٥].
- التنوع: {فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا} [عبس: ٢٧-٣١]

إذًا فالنعم الثانية بها شيئين: التنوع والكثرة. والتذكير -الذي جاء في النعم الأولى- للقدرة المطلقة التي لا يستطيع الإنسان أن يخرج عنها.

وكأن هذه الآيات تحاصر الإنسان المعرِض، وكأن هذه الآيات لا بد أن يستعملها الداعية مع الإنسان المعرِض.. إذًا فالإنسان المعرِض له خطاب، والإنسان المقبِل له خطاب، والإنسان المتحيِّر له خطاب، والإنسان المستضعَف له خطاب، والإنسان المستكبر له خطاب.. وهنا جاء الخطاب إلى الإنسان

*المعرض الذي لا يريد أن يسمع، وذُكِرَ في أول السورة أنه مستغنٍ، وهذا سر تسمية يوم القيامة هنا باسم (الصاخة)، -ونحن تكلمنا سابقًا عن اسم (الطامة) ولماذا اسم الطامة، وسنتكلم مستقبلًا عن اسم الغاشية في سورة الغاشية-، **وهنا اسم (الصاخة) التي تصم الآذان**، لأنه لم يكن يريد أن يسمع فيأتي شيء يجعله يسمع رغمًا عنه!*

إذًا هنا كيف تتكلم مع هذا الشخص المعرض؟

تُذَكِّرُه وتسأله: أين ستذهب من الله؟! الله خلقك من نطفة، {مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ}، ما معنى {فَقَدَّرَهُ}؟ أي أن الله قدَّر كل شيء فيك؛ قدَّر طولك وشكلك وعرضك ولون عينيك وعمرك والقلب والنَفَس إلى متى، كل هذا الله قدَّره وأنت لم تفعل شيئًا!

فأنت بهذا تحاصر هذا الإنسان المعرض، تقول له: لماذا تنكر؟! كل شيء بك الله هو من وضعه فيك، فلماذا تنكر وكيف لك أن تنكر! أنت لا تقدر أن تختار لون شعرك، أنت لا تقدر أن تختار شكلك، أنت لا تقدر أن تختار يوم ولادتك! وانظر إلى الكلمة: {ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ} [عبس: ٢٠]؛ أنت لا تقدر أن تخرج من بطن أمك لولا أن الله يسر لك السبيل! قيل: السبيل هو مكان خروج الإنسان من الرحم، أي لولا أن يسر الله هذا لم تكن لتخرج، وهذا اختيار الإمام الطبري.

وقيل: {السَّبِيلَ يَسَّرَهُ} أي طريق الهداية أو طريق الضلال، ومال إليه ابن كثير.

لكن لو حملنا سياق الآيات على اختيار الإمام الطبري، أي: فأنت كنت نطفة، فجعلك الله إنسانًا، فكيف تحولت النطفة لإنسان ومن الذي قدَّر هذه الأشياء؟ إنه الله سبحانه وتعالى، أنت لم تفعل شيئًا! ثم كيف خرجت من بطن أمك؟! الله هو من يسَّر لك ذلك، أنت لم تفعل شيئًا، أنت لم تختر متى ستخرج، ولا يمكنك الخروج بمفردك! {ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ} واختار الله متى ستموت، فأنت لا تتحكم في ميعاد موتك، أنت لا تستطيع أن تفعل ذلك.

{ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ} [عبس: ٢١] جعلك الله تحت الأرض بعد موتك، قيل: هذه تكرمة، وقيل: هذا قهر للإنسان، جعلك الله توضع تحت الأرض {ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ}.

كان المتوقع من سياق الآيات أن يقول الله بعد {ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ}: (ثم أنشره): أي يبعثه، لكن جاءت كلمة أخرى قبلها، {ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ} [عبس: ٢٢]

لماذا قال: {ثُمَّ إِذَا شَاءَ}؟

كأن الله يقول لك: سأتركك ميتًا إلى أن أشاء أن تُبعث، فيبعثك الله في الوقت الذي يشاء..

الله هو الذي خلقك من النطفة، وهو الذي قدَّر أن من بين الملايين من الحيوانات المنوية هذا الحيوان المنوي هو الذي سيصل، والله هو الذي قدَّر المواصفات، وهو الذي قدَّر البويضة، وهو الذي قدَّر الزمان والمكان والشكل وسبيل النزول وميعاد حياتك وميعاد موتك ومتى تقبر، ثم يتركك إلى أن يشاء الله، ثم يبعثك.. **فماذا فعلت أنت؟!**

{كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ} [عبس: ٢٣]، بعد كل هذا لاتزال لا تريد تنفيذ أوامره!

{كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ} **قيل أن من معانيها**؛ أي: كلا، لم يقضِ الإنسان (الفاعل) ما أمره الله به، لا زال لم يقم بالطاعات الواجبة عليه.. فبعد ذكر هذه النعم التي سبقت أنت لم تفعل الواجب عليك تجاه شكر هذه النعم، أنت واجب عليك شكر النعم وأنت لم تقم بالشكر!

وقيل: {كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ} أي أن الله -عز وجل- لم يشأ أن يبعثه بعد حتى تنقضي المدة ويفرغ القدر من بني آدم ممن كتب تعالى أن يوجدوا وهذا اختيار الإمام ابن كثير.

{فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ} [عبس: ٢٤]، **ما علاقة هذه الآية بالتي قبلها؟**

هناك من قال: إذا أراد الإنسان أن يقضي ما عليه من شكر نعمة الله -عز وجل- فعليه أن ينظر إلى نعم الله -عز وجل-؛ {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ} فربط هذه الآية بالتي قبلها.

أي: {كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ} أي لم يفعل الإنسان ما أمره الله -عز وجل- به من الشكر، **وإذا أراد الإنسان أن يشكر الله حق شكره، فليفعل ماذا؟** {فَلْيَنْظُرِ} تدبرًا، {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ}..

وقيل: أي إذا أراد الإنسان أن يعظم الله حق قدره: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ} أي: فليتأمل في آيات الله.

سنجد هنا أن السورة ذكرت النظر (التدبر) في شيئين:

١- النظر في آيات الله المتلوة -وهي القرآن- التي هي الصحف المطهرة.

٢- والنظر في الكون.. وهي آيات الله الكونية المرئية.

أي: النظر في آيات الله المقروءة، والنظر في آيات الله المنظورة.. الكون المنظور، وكتاب الله عز وجل القرآن، الكون والقرآن. فمن يريد أن يفعل ما أمره الله -عز وجل- به فلينظر في القرآن ولينظر في الكون {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ}.

{أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا} [عبس: ٢٥] الكثرة.

{ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا} [عبس: ٢٦]؛ أي **أن هذه النبتة عندما نبتت ليست هي من شقَّ الأرض، النبتة ضعيفة**، مشهد النبتة الخضرة الصغيرة وهي تشق الطين وتنبت؛ الله يقول لك أنه هو سبحانه الذي يصنع ذلك، هذا الشق ليس من صنع النبتة.. {أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا} نسب الله -عز وجل- الشق إليه.

{ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا} من الذي دخل بداخلها وأنبت الحب؟!

{وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا} [عبس:٢٨-٣٠] كثيفة ملتفة، من الذي أنشأ لك الجنات؟ من الذي خلق لك كل هذا؟

{وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا} وليس لك وحدك {مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ} [عبس: ٣٢]، من الذي خلق لك كل هذه النعم؟ قلنا هنا أن النعم تتميز بالكثرة والتنوع.

{فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ} [عبس: ٣٣] ما دام هو لا يريد أن يأتي، هذا الشخص المستغني الذي لا يريد أن يأتي فالصَّاخة ستأتيه.

لماذا اختيار (الصَّاخَّةُ) هنا؟

لأنه لم يكن يريد أن يسمع، كان رافضًا لأن يسمع، فهنا الله -سبحانه وتعالى- يقول له ستسمع رغمًا عنك الصاخةَ يوم القيامة.

في بداية السورة كان يهرب من النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا يريد أن يسمعه، وفي يوم القيامة سيهرب من أقاربه.

هناك كان يهرب من النبي -صلى الله عليه وسلم-، مستغنٍ بماذا؟ مستغنٍ بعشيرته، ولكن يوم القيامة سيهرب من هذه العشيرة {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ} [عبس: ٣٤-٣٦].

يوجد هنا سؤال: لماذا جاء هذا الترتيب؟ لماذا بدأ بالأخ، ثم الأم والأب، ثم الزوجة والبنين، في حين أن في سورة المعارج جاء الترتيب عكسي؟ فهنا بدأ من الأبعد إلى الأقرب، الأخ أقرب منه الأب والأم، أقرب منهم الزوجة، وأقرب شخص للإنسان الأولاد، فبدأ من الأبعد إلى الأقرب.. أما في سورة المعارج فالعكس {يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ} [المعارج: ١١-١٤] فبدأ في سورة المعارج من الأقرب إلى الأبعد، لماذا؟

في سورة عبس: هو يريد أن يهرب، يريد أن يهرب من أي شخص، ومن أي علاقات.. فيبدأ بتحطيم العلاقة الأبعد؛ لأنه يشعر أنه ما زال هناك فرصة للهرب..

أما في سورة المعارج فالموقف موقف افتداء.. ما معنى هذا؟

تخيل شخصًا يُرمى في جهنم، وهو يقع يريد أن يمسك أقرب شيء يجده ويرميه لينجو، فيأخذ أثمن شيء ويرميه، بمعنى: لو أن هناك شخصًا يغرق وقالوا له: ادفع مالًا ونحن سننقذك، سيمد يده لأغلى شيء في ثروته ويدفعه لهم، ولسان حاله يقول: خذوا أغلى شيء وأنقذوني! ولكن ***-في سورة عبس-*** *هذا الشخص ما زال يهرب، فيبدأ بالهرب من أخيه... ثم يجد أباه وأمه، فيهرب من أبيه وأمه... يجد زوجته -وهنا سميت الزوجة بالصاحبة لأن العلاقة بينهما كانت جيدة، وبالرغم من ذلك سيهرب منها-، حتى أولاده سيهرب منهم!* ***في سورة المعارج:*** *يمد يده على أقرب شيء لينجو، فيمد يده على أغلى شيء لأنه يعتقد أنه سينجو عندما يقدم أغلى شيء! فيقدم الأولاد، ولكن لا فائدة فلا ينجو، ويقدم الأخ ولكن دون فائدة!*

ومن لطف التعبير في سورة المعارج: لم يذكر الأب والأم، كأن هناك مراعاة للأدب مع الوالدين، ولكن الفرار منهم -في سورة عبس- معناه أنك ستتركهم فقط -لن تفادي بهم- فتم ذكرهم، أما -في سورة المعارج- أنت سترميهم في جهنم، فلم يذكرهم! قال الله تعالى: {يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ}، ولم يذكر لفظ الأم والأب.

في سورة المعارج؛ إذا افتدى بثروته كلها ولم ينجو، ولم يعد يوجد غير العالم، فيرمي العالم كله في النار لكي ينجو هو! إذا قيل له: هل ترمي الدنيا كلها في النار لكي تنجو أنت؟! يقول: نعم، ليس هناك مشكلة.

لكن هنا -**في سورة عبس**- هو ما زال يفر.. ولم يقل الله عز وجل (يفر من الأخ والأب والأم)، بل قال: {يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ}، فالله سبحانه يذكِّره بهذه العلاقة.

هل ستهرب من أخيك؟ نعم؛ سأهرب منه.

وأمك وأبوك، هل ستهرب منهم؟ نعم؛ سأهرب منهم.

هل ستهرب من زوجتك التي صاحبتك في المشاكل؟ نعم، سأهرب منها.

هل ستهرب من أولادك الذين هم قطعة منك؟ نعم، سأهرب منهم.

فانظر إلى من كان يهرب من الموعظة والنصيحة، تجده يهرب الآن من أولاده {وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ}.

- **لماذا يهرب منهم؟**
- **{لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} [عبس: ٣٧]**

انتبه إلى كلمة {يُغْنِيهِ} وكلمة {اسْتَغْنَى} التي ذُكرت في البداية.

ففي الدنيا كان مستغنيًا وكان مشغولًا بالمال والأولاد، أما في الآخرة فمشغول عن المال والأولاد.. هناك {وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ} [التكوير: ٤]، هناك {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ} [عبس: ٣٤].

في الدنيا كان مشغولًا بالأولاد والأموال عن الدين، ولكن في الآخرة هو مشغول بشأنه الخاص عن الأموال والأولاد {لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}.

في النهاية ينقسم الناس إلى فريقين:

- {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ} [عبس: ٣٨-٣٩]، هؤلاء هم الدعاة إلى الله، هؤلاء هم العاملين لدين الله عز وجل، الذين يُسفرون للناس، هذا الإسفار يدل على الصبح والإنارة والإضاءة، وهذا هو أحد معاني (سفرة): أنه يضئ للناس.

{مُسْفِرَةٌ}: كما كان ينير للناس طريقهم في الدنيا، يأتي يوم القيامة ووجه مضيء، ينير للناس.

{ضَاحِكَةٌ}: كما كان يضحك ويستبشر بهم ويدعوهم إلى الله عز وجل، كذلك يكون ضاحكًا، كما أدخل السرور على الناس في الدنيا بأن علمهم دين الله، كذلك يكون ضاحكًا يوم القيامة.

{مُسْتَبْشِرَةٌ} فكما كان يدخل البشرى على الناس في الدنيا ويبشرهم بالجنة -لمن أسلم ودخل في دين الله عز وجل- كذلك هو يستبشر.

مسفرة: أي مضيئة.

ضاحكة مستبشرة: أي مستبشر بما سيراه من النعيم، ويضحك لما رأى من نعيم الله عز وجل، وما زال مستبشرًا لما سيحدث له من نعيم.

- أما الصنف الآخر: {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ} [عبس: ٤٠].. (**الغبرة**): أي التراب.

{تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ} [عبس: ٤١]، **القترة**: أي السواد.

إذًا يكون عليها تراب ووجهه أسود، فاجتمع عليه شيئين: التراب والسواد.

خُتمت السورة بـ{أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ} [عبس: ٤٢].

{الْكَفَرَةُ} وهذه تتناسب مع الغبار، {الْفَجَرَةُ}: تتناسب مع السواد. وكأن هذا الغبار وهذا السواد هما الحواجز التي وضعها بينه وبين الدين.

الغبار: أي الكفر، والسواد: أي المعاصي، هذه هي الأشياء التي وضعها بينه وبين دين الله. لذلك ستظل تأتي على وجهه -والعياذ بالله- يوم القيامة.

فالغبرة: الكفر.. **وكلمة (الكفر)؛ الكافر**: الزارع الذي يجلب البذرة، ويكفرها في الأرض -أي يغطيها- فيضع التراب عليها ويغطيها حتى تُدفن في الأرض.

كذلك الكافر هو الذي وضع التراب على فطرته وعلى سمعه وعلى بصره، ولم يكتفِ بذلك، بل أيضًا فجر في المعاصي، فكل معصية تجعل وجهه أكثر سوادًا، فجمع بين الكفر والفجور، فكما جمع بين الكفر والفجور في الدنيا، يجتمع على وجهه الغبار والسواد في الآخرة.

فانتهت السورة إلى فريقين: فريق الدعاة العاملين الذين يُدخلون البشرى على الناس، الذين ينيرون للناس طريقهم.. ففي وسط الغبار والسواد الموجود، وفي وسط الكفر والمعاصي المنتشرة، تجد هذا الداعي يجاهد كي ينشر دين الله بين الناس.

هناك أناس وجوههم مسفرة ضاحكة مستبشرة.. وعلى الجانب الآخر هناك أناس يأتون يوم القيامة وجوههم {عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ}.

أحبتي في الله: هذه السورة هي سورة مهمة جدًا للدعاة العاملين لدين الله.. هذه السورة فصلت بين النبأ والنازعات وبين التكوير والانفطار.. سنجد أن هناك سورتان تكلمتا عن يوم القيامة والموت: النبأ والنازعات.. وسورة مهمة للداعية: عبس.. ثم سورتان عن يوم القيامة: التكوير والانفطار.. ثم سورة مهمة عن المعاملات: سورة المطففين.

فتجد أن هناك سور عن يوم القيامة، وسور تُعلمك كيف تتعامل مع الناس.. وهذه سورة في غاية الأهمية للدعاة؛ حتى لا ينحرفوا في طريقهم.

نسأل الله عز وجل أن يستعملنا وأن يثبتنا.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

وجزاكم الله خيرًا.